تفسير ابن كثير

يذكر تعالى عباده المؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثة الرسول محمد صلى ا عليه وسلّم إليهم يتلو عليهم آيات ا مبينات ويزكيهم أي يطهرهم من رذائل الأخلاق ودنس النفوس وأفعال الجاهلية ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويعلمهم الكتاب وهو القرآن والحكمة وهي السنة ويعلمهم مالم يكونوا يعلمون فكانوا في الجاهلية الجهلاء يسفهون بالعقول الغراء فانتقلوا ببركة رسالته ويمن سفارته إلى حال الأولياء وسجايا العلماء فصاروا أعمق الناس علما وأبرهم قلوبا وأقلهم تكلفا وأصدقهم لهجة وقال تعالى : { لقد من ا على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم } الاية وذم من لم يعرف قدر هذه النعمة فقال تعالى : { ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة ا كفرا وأحلوا قومهم دار البوار } قال ابن عباس : يعني بنعمة ا محمدا صلى ا عليه وسلّم ولهذا ندب ا المؤمنين إلى الاعتراف بهذه النعمة ومقابلتها بذكره وشكره وقال : { فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون } قال مجاهد في قوله : { كما أرسلنا فيكم رسولا منكم } يقول : كما فعلت فاذكروني قال عبد ا بن وهب : عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم أن موسى عليه السلام قال : يا رب كيف أشكرك ؟ قال له ربه : [تذكرني ولا تنساني فإذا ذكرتني فقد شكرتني وإذا نسيتني فقد كفرتني] قال الحسن البصري وأبو العالية والسدي والربيع بن أنس : أن ا يذكر من ذكره ويزيد من شكره ويعذب من كفره وقال بعض السلف في قوله تعالى { اتقوا ا حق تقاته } قال هو أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا عمارة الصيدلاني أخبرنا مكحول الأزدي قال : قلت لابن عمر : أرأيت قاتل النفس وشارب الخمر والسارق والزاني يذكر ا وقد قال ا تعالى : { فاذكروني أذكركم } ؟ قال : إذا ذكر ا هذا ذكره ا بلعنته حتى يسكت وقال الحسن البصري في قوله : { فاذكروني أذكركم } قال : اذكروني فيما افترضت عليكم أذكركم فيما أوجبت لكم على نفسي وعن سعيد بن جبير : اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي وفي رواية برحمتي وعن ابن عباس في قوله : { اذكروني أذكركم } قال : ذكر ا إياكم أكبر من ذكركم إياه وفي الحديث الصحيح : [يقول ا تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه] قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [قال ا D : يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي إن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ من الملائكة ـ أو قال في ملأ خير منه ـ وإن دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعا وإن دنوت مني ذراعا دنوت منك باعا وإن أتيتني تمشي

أتيتك هرولة] صحيح الإسناد أخرجه البخاري من حديث قتادة وعنده قال قتادة : ا أقرب بالرحمة وقوله : { واشكروا لي ولا تكفرون } أمر ا تعالى بشكره ووعد على شكره بمزيد الخير فقال : { وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد } وقال الإمام أحمد : حدثنا روح حدثنا شعبة عن الفضيل بن فضالة ـ رجل من قيس ـ حدثنا أبو رجاء العطاردي قال : خرج علينا عمران بن حصين وعليه مطرف من خز لم نره عليه قبل ذلك ولا بعده فقال إن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : [من أنعم ا عليه نعمة فإن ا يحب أن يرى أثر نعمته على خلقه] وقال روح مرة : على عبده